

قراءة جديدة
في ديوان اسماعيل بن يسار
تحقيق الدكتور يوسف حسين بكار

للدكتور نوري حمودي القيسي
عميد كلية الآداب - جامعة بغداد

أقف مع أخي الدكتور يوسف الموقف الأخوي الذي وجدت نفسي ملزماً به لعلّ فرصة جديدة تتاح له لإعادة النظر في تحقيق شعر هذا الشاعر مستقبلاً فتكون هذه المحاولة اغناء لمحاولته وإضاءة خفيفة توسع مدى الرؤية التي أضاء بها حياة هذا الشاعر وأبدأ أولاً باستدراك الأبيات .

١ - اعتمد الأخ الدكتور يوسف كتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار (شرح وتحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر) وخرّج منه القطعة رقم (٤) ورقم (١٢) وفاتته القطعة الثامنة التي ذكرها صاحب جمهرة النسب فلم يخرجها منه ولي عليها الملاحظات الآتية :

أ - قال الدكتور يوسف : قال يرثي أخاه محمد بن يسار والقصيدة كما يذكرها صاحب جمهرة النسب قال : حدثنا الزبير قال : وحدثني مصعب بن عثمان قال : قال اسماعيل بن يسار النساء يرثي أبا بكر بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . فالمرثية ليست في رثاء أخيه كما ذكرت في المجموع .

ب - ولو تأمل أخي الدكتور يوسف البيت الأول من القصيدة والشاعر يقول : لما نعى الناعي أبا بكر . .

ولم يُعرف أخو الشاعر بهذه الكنية . لأدرك أن المرثى غير أخيه . .
ج - في الأبيات السبعة التي أوردها صاحب جمهرة نسب قريش تصحيح لما ورد في رواية الأغاني . . . فرواية الأول غلب العزاء ورواية المجموع عيل العزاء وهناك اختلافات أخرى في رواية الأبيات لا يمكن اغفالها لصحتها ووثوق روايتها أو قدم مصدرها والفرق كبير بين الزبير بن بكار وأبي الفرج .

د - بعد رواية الأبيات السبعة يعقب صاحب جمهرة النسب بقوله : وهي طويلة وهي اشارة يمكن الانتفاع منها لأنها تقدم دليلاً على فقدان شعر الشاعر وطول نفسه وشدة صلته بالمرثى وأمور أخرى تغني دراسة الدكتور يوسف لو تأمل في هذا المصطلح حين يذكر .

٢ - في الصفحة نفسها التي ذكرها صاحب جمهرة النسب (٦٥) يقول : قال وأنشدني مصعب بن عثمان لاسماعيل بن يسار النساء يرثي أبا بكر بن حمزة :

أحين بلغت ما كنا نرجي وكنت على أنوف الكاشحين
أبا بكر ثويت رهين رمس يخبّ بنعيك المتعجلونا
ويقول وهي طويلة : وقد أخلّ بها المجموع الشعري :

٣ - وفي جمهرة نسب قريش وفي الصفحة ٢٨٩ - ٢٩١ قصيدة قوامها سبعة عشر بيتاً يرثي فيها الشاعر يحيى بن عروة بن الزبير وقد أنشدها مصعب بن عثمان وهي :

ألا يا عَيْنُ فانهمري بغزّر وفيضي عبّرةً من غير نزر
ولا تعددي عزاءً بعد يحيى فقد غلب العزاء وعيل صبري

وَمُرَزَّةٍ كَأَنَّ الْجَوْفَ مِنْهَا وَعَلَى يَحْيَى ، وَأَيُّ فَتَى كَيْحَى
 وَلِلْخَصْمِ الْإِلْدَ إِذَا دَعَانِي وَلِلْأَضْيَافِ إِنْ طَرَقُوا هُدُوءًا
 إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ سَنَةٌ جَمَادٍ هُنَالِكَ كَانَ غَيْثٌ حَيًّا تَلَاقَتْ
 وَأَحْيَا مِنْ مُخَبَّأَةِ حَيَاءٍ هَرَيْتِ الشُّدُقَ رِيَالٍ إِذَا مَا
 تَدِينُ الْجَاذِيَاتُ لَهُ إِذَا مَا فَأَمَّا يُمَسُّ فِي جَدَثٍ ضَرِيحٍ
 فَقَدْ يَعْصُوبُ الْجَادُونَ مِنْهُ إِذَا مَا الضُّيْفُ حَلَّ عَلَى ذَرَاهُ
 نَدَى صَافٍ يَبِينُ الْعِتْقُ فِيهِ تُفَرِّجُ بِالْنَدَى الْأَبْوَابُ عَنْهُ
 دَهَانِي الْحَادِثَاتُ بِهِ فَأَمْسَتْ

وقد أخلَّ بها المجموع الشعري :

والسؤال بعد هذا هو كيف يتسنى لأخي الدكتور يوسف أن يعتمد
 على كتاب جمهرة النسب في مقطوعتين وتفوته المقطعات الأخرى :
 في القطعة الثانية عشرة :

اعتمد أخي الدكتور يوسف على جمهرة نسب قريش وأخبارها
 . ٢٧٩ - ٢٨١ .

كتاب نسب قريش الذي وردت فيه الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ،
 . ١٠ .

والتعازي والمرائي حيث وردت فيه الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ،
 . ١٠ ، ١٣ - ١٦ .

وهذا يعني ان أكمل نص مذكور في جمهرة نسب قريش . ولكن عندما ثبت النص لم يعتمد جمهرة نسب قريش وإنما وضعت الأبيات واختيرت النصوص دون قاعدة والدليل على ذلك . ان رواية البيت الثاني في جمهرة نسب قريش وردت على الوجه التالي :

زعمت انها هلاكي مع المال ...

وثبت المحقق الكريم : زعمت أنها ملاكي ...

ورواية الجمهرة أدق وأوفق .

وكذلك الأمر في الأبيات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ وكان المفروض أن

ثبتت رواية الجمهرة وتثبت الاختلافات بالنسبة لبقية المصادر لاعتبارين الأول قدم النص والثاني : وجودة مكتملاً وهما سببان موجبان كذلك وان معظم الاختلافات التي تثبت في بقية المصادر (عدا الجمهرة) كانت أضعف وأبعد عن الدقة .

التخريج

يلتزم المحققون بجملة قواعد تعينهم على متابعة الابيات وتكشف لهم عن التصحيح والتحريف الذي يعتري النصوص وتساعدهم على تخريج بعض الوجوه في التفسير وأمور أخرى تعطي النص حقه وتوفر له من المستلزمات ما تجعله أكثر وضوحاً . ومن أجل استكمال هذه المتابعة فقد اهتدى بعض المحققين إلى وضع ضوابط نافعة يمكن اعتمادها في أصول تثبيت النص وطريقة التخريج فكان الأولى أن يعتمد النص الكامل الذي يرد في المصادر أصلاً لأن هذا النص بصورته الكاملة يضيء الجوانب الأخرى للمصادر التي تستعين ببعض أبيات النص على الرغم من تأخر هذا المصدر فالنص الكامل الذي يذكره صاحب الخزانة يعتمد قبل النص المجتزأ الذي يرد في الشعر والشعراء على الرغم من تأخر الأول وتقدم الثاني لأن صاحب الخزانة يعتمد على ديوان كان بين يديه كما يذكر

في مصادره . فروايته أوثق ونصه أوفى وأكمل . . وهكذا أصبحت هذه القاعدة أساساً في التثبيت . ثم بدأ باعتماد المصادر الأخرى التي تتوالى على ذكر بقيته على وفق تسلسل رقمي معروف عند المحققين وفي ضوء هذه القاعدة تثبت مصادر التخريج على وفق تسلسل زمني يعطي العصر أهميته ويوضح الاختلاف ويحدد التاريخ الذي بدأ الاختلاف يداخل النص . وقد أصبحت هذه القواعد أصولاً عند طلبة الدراسات العليا ومن وطن نفسه للعمل في هذا الميدان التراثي . ولم أجد أخي الدكتور يوسف قد سلك واحداً من هذه المسالك وهو يترك النصوص وتخريجاتها كما تأتي وقد أدى هذا الاختلاط إلى عدم وجود قاعدة معتمدة في تسلسل ترتيب المصادر .

استدراك مصادر التخريج

حاولت أن أشير إلى مصدر واحد فقط وهو أقرب إلى كل المصادر لما يمكن أن يحتج به من أبيات شعرية وهو كتاب المنازل والديار فقد وردت فيه الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٩ ، ١٠ من القطعة (٢) في الصفحة ٣٥ . وفي رواية الأبيات اختلاف يمكن أن يصحح ما ورد في الأبيات المعتمدة ، ولعل رواية البيت التاسع وحده تكفي لهذا التصحيح . فقد وردت رواية هذا البيت في الديوان . .

صاح أبصرت أو سمعت براع ردّ في الضرع ماقرى في العلاب
ورواية المنازل :

..... ردّ في الضرع مامرى ، وهي أصوب .

أورد البحثري في حماسته ثماني قطعات نسبت ست منها إلى اسماعيل بن بشار واثنان منهما نسبتا إلى اسماعيل بن بشار الكناني واعتمد المحقق على اجتهاد الأب لويس شيخو الذي اعتقد ان بشارا تصحيف ليسار فنسب القطع إلى اسماعيل بن يسار ، وجريا على هذه القاعدة ألحق

المقطعتين اللتين وردتا في الحماسة والمنسويتين إلى اسماعيل بن بشار الكناني إلى اسماعيل بن يسار . وفي هذه النسبة خطورة كبيرة لم يحاول أخي الدكتور أن يؤكدها أو يشير إليها في الدراسة أو يهتدي إلى بيت واحد ورد في هذه المقطعات منسوباً في أي مصدر إلى اسماعيل بن يسار . وكنت أمل أن يقف أخي الدكتور يوسف عندها وقفة المتأمل لدراستها دراسة تحليلية ومقارنة مفرداتها وصياغتها ودلالة معانيها وتراكيب جملها لعله يهتدي إلى ما يجد فيه وجها للمقارنة ليضع دليلاً واحداً على الأقل بين أيدينا لنقتنع بهذه النسبة التي هي أقرب إلى الحدس منها إلى الحقيقة .

وإذا تجاوزت هذه المسألة فإن المحقق الكريم حاول أن يجمع بيتين ورداً متفرقين أحدهما في الباب الثامن والثلاثين (فيما قيل في كراهة ودّ الملول) والآخر ورد في الباب الخامس والثلاثين والمائة (فيما قيل في الرخاء بعد الشدة) في مقطعة واحدة . وقال كان البيتان متفرقين في حماسة البحري ، الأول ص ٧ والآخر ص ٢٢٥ ، والمعروف ان قواعد التحقيق لا تبيح مثل هذا الجمع لعدم وجودهما في نص وإنما يمكن اعطاؤهما أرقاماً متتالية . ويشار في الهامش إلى أن البيتين وردا متفرقين ويبدو أنهما من قصيدة واحدة لتشابههما في البحر والغرض والسياق ، ويؤكد على انهما ثبتا على هذه الهيئة التزاماً بالأمانة العلمية .

وكذلك صنع في القطعة الرابعة عشرة وذكر في الهامش انها متفرقة في حماسة البحري والقطعة الثامنة عشرة ، وذكر في الهامش انها كانت متفرقة فجمعها . . وما يقال في القطعة الأولى يقال في هذه القطع . .

وربما ساور أخي الدكتور يوسف الشك في النسب فقال في القطعة الأولى قال في ترك المراد وفي التاسعة قال اسماعيل وفي الرابعة عشرة قال في من يريد له الخير ويريد لك الشر . والواقع ان الأبيات التي وردت تحت هذا الباب هي ثلاثة والأبيات العشرة وردت في الباب الحادي والخمسين

والمائة (فيما قيل في الندامة على شتم العشيرة ومجازاتها بالسوء وترك العفو عنها) والفرق بين البابين كبير . . ولو فصل بينهما وأشار إلى رأيه بأنهما من قطعة واحدة كان أكثر أمانة وأوثق رواية وأحكم من حيث أصول التحقيق . وكذلك القطعة الثامنة عشرة التي جمعت بين قطعتين وردتا تحت بايين إلا أن أخي الدكتور يوسف قال : قال في تغلب الدهر ، والواقع ان إحدى القطعتين وردت تحت الباب الرابع والثمانين (فيما قيل في انجاز الوعد وترك المطل) . إن هذه الملاحظات التي آثرت تقديمها إلى أخي الدكتور يوسف بكار حملني عليها تقديري لجهوده في ميادين الأدب واعترازي بما يقدم عليه في ميادين التحقيق وجمع الشعر . . والله نسأل التوفيق والهداية .
والسلام .